



الجامعة الإسلامية في مينيسوتا
Islamic University of Minnesota
المرء الرئيس

شرح العقيدة الواسطية



د/ أبوبكر الطديق عمر الفاروق القاضي

باحث دكتوراة السنة النبوية

f abobakrelkady AboBakr Elkady
G www.abobakrelkady.net KonnashatElkady



المجلس الرابع (شرح العقيدة الواسطية)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه، واله وصحبه وسلم

ثم أما بعد :-

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي- هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار ثم أما بعد:-

هذا هو (المجلس الرابع) من شرح كتاب " العقيدة الواسطية " لشيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى- ولا نزال في الإيمان بالله تبارك وتعالى .

✓ وقد ذكرنا أن الإيمان بالله؛ هو التصديق بوجود الله وربوبيته، والوهيته، واسمائه وصفاته

✓ وذكرنا أن توحيد الربوبية؛ هو توحيد الله بأفعال الله- تبارك وتعالى- من الخلق، والرزق، والتدبير، والاحياء، والإماتة، والضر والنفع، والعطاء والمنع، والقبض والبسط، والخفض والرفع، والإعزاز والإذلال، والملك، والأمر والنهي، والتشريع .

✓ وذكرنا؛ أن توحيد الألوهية؛ هو توحيد الله بأفعال العباد؛ وهو صرف العبادة لله- عز وجل- لأنه هو المعبود الحق والإله الحق؛ فمعنى " لا إله إلا الله " لا معبود بحق إلا الله.

التوحيد ينقسم قسمين:

تقسيمه أخرى غير التقسيم الثلاثية؛ توحيد الربوبية والألوهية، والأسماء، والصفات، هنالك تقسيم آخر :

← وهو توحيد المعرفة، والإثبات.

التوحيد الإعتقادي الخبري؛ وهو يتضمن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

وتوحيد العبادة، والقصد، والطلب؛ وهو توحيد الألوهية، وبدأنا في توحيد الأسماء والصفات.

✓ وذكرنا؛ أنه هو أن نؤمن بكل ما وصف الله به نفسه، ووصف به رسوله- صلى الله عليه وسلم- من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تكيف، ولا تمثيل .

✓ وذكرنا معنى التعطيل.

✓ وذكرنا مراتب الفرق النارية فيه، وكذلك معنى التحريف ونوعيه .

✓ وذكرنا؛ أنه التحريف اللفظي، والتحريف المعنوي؛ وأن التحريف المعنوي يساوي في الحقيقة التأويل المذموم؛ وهو صرف اللفظ عن ظاهره إلي معني محتملاً مرجوح بغير دليل .

✓ وذكرنا معنى التكييف، ومعنى التمثيل، ومعنى التشويه.

✓ وذكرنا العلاقة بين التكييف، والتمثيل، والتشبيه و، على هذا الأصل بدأنا نتداول الآيات، والأحاديث التي تتضمن الأسماء والصفات .

✓ ذكرنا؛ أن مصدر الاستدلال، والاستمداد في الأسماء والصفات؛ هو الكتاب والسنة؛ فهي في الحقيقة توفيقية لا مجال للعقل فيها؛ فنؤمن بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ليس ببعض كما يفعل الأشاعرة، والماتريديّة، والكلابية، وليس كما يفعل المعتزلة؛ يثبتون الأسماء دون الصفات، أو الجهمية ينفون الأسماء والصفات ويثبتون الذات، وذات مطلقة، ولا الفلاسفة الذين جعلوا وجودهم مستحيلاً، ولا الباطنية، والصوفية المتفلسفة التي الذين يدينون بالحلول، والاتحاد، أو وحدة الوجود؛ بل نؤمن بكل ما وصف الله به نفسه، و وصفه به رسوله، هذه الاسماء فيها بعض القواعد المهمة التي ينبغي؛ أن نتدارسها، أو أن نمر عليها سريعاً، وهذا مستفاد من كتاب " **القواعد المثلى في صفات الله واسمائه الحسنى** " للشيخ ابن عثيمين رحمه الله .

القاعدة الأولى :-

أسماء الله تعالى كلها حُسنِي؛ فهي تدل على الحسن والجلال، والجمال، والكمال لله تبارك وتعالى .

✓ قد ذكرنا مسألة الاشتقاق، وذكرنا أن الاشتقاق لا ينافي التوقيف؛ لأنه يكون من الآيات والأحاديث، ولا بد فيه إلا يوهم نقصاً بوجه من الوجوه، ويدل على الكمال والجمال والجلال، ولذلك لا يشتق من بعض الأفعال أسماء كالمكر، والخاضع، والمستهزئ، والساخر إلي غير ذلك؛ لأن هذه الأفعال تكون على وجه الجزاء، والعدل، والمقابلة؛ فلا يشتق منها أسماء مطلقة أسماء الله كلها حُسنِي.

القاعدة الثانية:-

أسماء الله تعالى أعلام، وأوصاف؛ فهي اعلام أي: اسماءه تتضمن هذه الأسماء أوصاف؛ ولذلك الإسم يدل على صفة الله- تبارك وتعالى- يدل على ذات الله مطابقة، وعلى صفة الله تضمناً، وعلى بقية الصفات التزاماً، وقد شرحنا هذا من قبل .

القاعدة الثالثة :

كذلك هي توقيفية لا مجال العقل فيها هي تدل دلالة الاسماء والصفات تدل على ذاته وصفاته بالمطابقة والتضمن والالتزام، وهي غير محصورة بعدد معين **لحديث ابن مسعود- رضي الله عنه- قول النبي صلي الله عليه وسلم { اللهم اني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت بها في علم الغيب عندك }..**

القاعدة الرابعة :-

اسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين.

وكذلك القاعدة الأخيرة؛ هي قضية الالحاد في أسماء الله تبارك وتعالى، وقد ذكرنا أنواعه، وصوره من التعطيل، والتحريف والتأويل المذموم، والتكليف، والتمثيل، والتشبيه، وكذلك اطلاق بعض أسماء الله، او اشتقاق ببعض أسماء الله للاصنام كالات، والعزى، ومنام، كذلك صفات الله- تبارك وتعالى- كلها صفات كمال الله لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وأن الكلام في باب الصفات أوسع من الكلام في باب الاسماء، وكذلك الاخبار أوسع من الصفات، كذلك هي تنقسم إلي ثبوتية وسلبية، وقد ذكرنا هذا الامر، وذكرنا؛ أن النفي المحض لا يتضمن مدحاً، وأن الصفات الثبوتية صفات مدح، وكمال؛ ولذلك لا بد النفي يكون في سياق اثبات الكمال لكي ننفي العيب، او نقص في سياق اثبات الكمال.

فالثبوتية تنقسم إلي ذاتية وفعلية، وذكرنا الفرق؛ أن الذاتية لا تنفك عن ذاته، ولا تتعلق بالقدرة، ولا المشيئة بخلاف الفعلية؛ فإنها تتعلق بالقدرة، والمشيئة، وتنفك عن ذاته- عز وجل- كذلك نحن نقول؛ أن آيات الأسماء والصفات، أو الأحاديث؛ هي محكمة من جهة المعنى متشابهة من ناحية الكيفية؛ فنرد المتشابه المحكم؛ فيتسق الكتاب كله؛ فنفوض الكيف لله، ونثبت المعاني اللائقة بجلاله، وجماله، وكماله قال تعالى: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى:11]

قال تعالى: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص:4]

تبارك وتعالى لا عدل له، ولا سمي له، ولا ند له تبارك وتعالى- نجريها على ظاهرها، وهي معنى قول السلف امرها كما جاءت اي؛ على ظاهرها لائقة باثبات معانيها لائقة بجلاله، وجماله، وكماله؛ فالاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

هذه جملة القواعد الكلية في مدارس الأسماء والصفات.

وقد انتهينا من جملة ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى- من الآيات في باب الاسماء والصفات، وينتقل الليلة شيخ الإسلام بنا إلي سنة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: ثم سنة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- تفسر القرآن، وتبينه، وتدلل عليه، وتعبّر عنه هذه لفظة كلية، وقاعدة كلية في حجية السنة؛ وأنها المصدر الثاني للتشريع مع القرآن فهي مفسرة، وشارحة، ومبينة ومفصلة لما أُجمل في القرآن، ومؤكدة لما جاء في القرآن ومعبرة عنهم .

-قال تعالى: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل: ٤٤]

- وقال تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر: ٩]

الذكر أي: قرآن وسنة بإجماع أهل العلم .

قال: وما وصف الرسول به ربه- تبارك وتعالى- من الأحاديث الصحيحة التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول، وجب الإيمان بها كذلك كما نؤمن بالقرآن، وقضية حجية السنة قد شرحنا فيها كتاب **"تمام المنة في الرد على اعداء السنة"** للعلامة المقدم حفظه الله

وهناك كتب كثيرة في هذه المسألة **" ككتاب السنة ومكانتها في التشريع "** للدكتور مصطفى السباعي رحمه الله، وكذلك **" دفاع عن السنة "** لمحمد أبو شهبة رحمه الله تعالى- في الرد على المستشرقين، **" رسالة في طريقي إلي ثقافتنا وأباطيل وأسما"** لأبي فهر محمود شاكر رحمه الله تعالى .

قال: وما من مثل قوله- صلى الله عليه وسلم- {ينزل الله كلَّ ليلةٍ إلى السماء الدنيا ، حين يبقى ثلثُ الليل الآخر ، فيقول: من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له }
فيرد أهل البدع، و أهل الأراء، وأهل الأهواء، وأهل التخيل الباطل الذي يؤدي بهم إلي التعطيل، أو التأويل المذموم كيف ينزل؟ !

وكيف والأرض هنالك نصف نهار ونصف ليل؟!

وفي أي ليل ينزل؟!

وحين يبقى ثلث الليل الآخر في أي دولة ينزل؟!

إلي غير ذلك من الأمور؛ فكل هذا نابع عن أنك تتصور، أنك تتكلم عن مخلوق!

إذا نزل خلى منه المكان الذي نزل منه إلي آخر بالتحرك والانتقال، وليس الأمر كذلك؛ بل أنت تتكلم عن الخالق تبارك وتعالى: **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى:11]**

فهو- تبارك وتعالى- ينزل نزولاً يليق بجلاله، وكماله، ولا يخلو منه العرش؛ فهذا النزول أقرب إلي الدنو، فالسماوات السبع والأرضون السبع كخردلة في كف الرحمن .

-قال تعالى: { وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } [البقرة:255]

فلا يعجزه ذلك- تبارك وتعالى- أن يدنو الدنو الذي يليق بجلاله، وكماله تبارك وتعالى، ومع ذلك؛ فإن الكيف نفوضه إلي الله- تبارك وتعالى- ونثبت المعنى اللائق بالله، ولا يكون تخيلنا الباطل سبباً للتعطيل (النفي) أو التأويل المذموم يقولون ينزل رحمته تنزل ملائكته إلي غير ذلك؛ فإن كل هذا من التأويل المذموم .

-قال: وقوله- صلى الله عليه وسلم- {لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ بِأَرْضٍ فَلَاقَهُ ..}

إذن هو عز وجل يفرح، وهذه صفة ثابتة له تبارك وتعالى كما يليق بجلاله، وكماله مع غناه، وحمده، ومجده تبارك وتعالى، وغناه عن عبده وتوبته.

-قال تعالى: { وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } [العنكبوت:6]

ومع ذلك هو يفرح تبارك وتعالى، لماذا؟

لأنه رحمن، لأنه رحيم، لأنه يحب؛ أن يربح عليه عباده، وأن يغفر لعباده .

-وقوله {يَضْحَكُ اللَّهُ لِرَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، }

يَضْحَكُ اللَّهُ؛ هذا الضحك ثابت لله تبارك وتعالى، وهي صفة غير الرضا؛ وإنما هو الضحك علامة على الرضا؛ ولكنه نثبت لله- تبارك وتعالى- كما يليق بجلاله، وكماله، - {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }

{ -يَضْحَكُ اللَّهُ لِرَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، }

لأن الأول قتل شهيداً، والثاني أسلم كان كافراً أولاً، ثم أسلم، ثم قاتل فقتل شهيداً؛ فهو- تبارك وتعالى- رحمته وسعت كل شيء، وهو يحب أن تسع رحمته عباده- الرحمة الخاصة ايضاً، وقوله- صلى الله عليه وسلم { -عجِب رَبُّنَا مِنْ رَجُلَيْنِ ... }

والعجب صفة ثابتة لله- تبارك وتعالى- كما يليق بجلاله وكماله، وهذا لا ينافي العلم، وهو العليم العالم العلام، علم ما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، علمه محيط بالكليات، والجزئيات، والغيب، والشهادة، والماضي والحاضر، والمستقبل، والممكنات، والمستحيلات، ومع ذلك هو يعجب، ويحب، ويعجبه ذلك؛ هو تبارك وتعالى- أنه يرى قنوت عباده، وقرب غيره هو- تبارك وتعالى- ينظر إليكم أزليين، قنطين؛ فيظل يضحك، يعلم أن فرجكم قريب، وأن الأمر أقرب ما يكون من الفرج، والسعة والرزق، وهم ربهم رب كريم، جواد، رحمن، رحيم بهم من أمهاتهم، وآبائهم، وأنفسهم؛ فهو يعجب من ذلك ويضحك لذلك كما يليق بجلاله وكماله.

قوله: { لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العالمين قدمه }

فيها ؛ بمعنى عليها؛ فلا تحيط النار بقدمه ، لا يحيط المخلوق بالخالق؛ وإنما يضع رب العزة فيها قدمه أي؛ عليها قدمه تبارك وتعالى في قوله { أَمِنتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ } [الملك: 16] أي: على السماء لا تحيط به السماء، ولا تقله، ولا تضله تعالى الله عن ذلك، ولا يحيط به مخلوق أبداً ، { وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا } [طه: 110]

وفي رواية " عليها قدمه " فهذه الرواية تفسر الأولى؛ فينزوي بعضها إلي بعض وتقول قط قط أي: اكتفيت فإذا له تبارك وتعالى قدم كما يليق بجلاله، وكماله تبارك وتعالى، وقد ذكرنا أن الكلام عن الصفات فرع عن الكلام عن الذات؛ فكما أن ذاته ليست كذوات المخلوقين؛ فكذلك صفاته ليست كصفات المخلوقين .

قال : وقوله يقول الله- عز وجل- لآدم عليه السلام " يا آدم " إذا هو يقول بحرف، وصوت يتكلم كلاماً يسمعه من قرب كمن بعد - كما سنأتي إلى قضية القرآن بعد قليل - وأن القرآن كلام الله تكلم الله به حقيقة وسمعه منه جبريل عليه السلام- وأداه كما سمعه إلى محمد- صلي الله عليه وسلم- وأنه ليس بمخلوق؛ لأنه صفته وهو صفة فعلية ، قديمة النوع حادثه الأفراد متعلقة بالقدرة، والمشية يقول: الله عز وجل لآدم عليه السلام " يا آدَمُ، فيقول: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ "

إجابة وراء إجابة، ومساعدة وراء مساعدة ، وخدمة وعبادة " فينادى بصوتٍ إنَّ الله يأمرك أن تُخْرَجَ مِنْ دَرِيَّتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ "

وقوله صلي الله عليه وسلم { ما منكم من أحدٍ إلا سيُكَلِّمُهُ اللهُ يومَ القيامةِ ، ليس بينه وبينهم ترجمان }

أحب لك أن تقرأ إثبات صفة الكلام لله- تبارك وتعالى- من كتاب " معارج القبول " لحافظ أحمد الحكي، كم الأدلة التي ساقها من القرآن والسنة، وكلام الصحابة، والتابعين وتابعيهم على مسألة الكلام، وعلى مسألة علو الله علي خلقه في ما يعزز اليقين في هذه المسألة .

قال : وقوله " ما منكم من أحدٍ إلا سيُكَلِّمُهُ اللهُ يومَ القيامةِ ، ليس بينه وبينه ترجمانُ "

وقوله في رقية المريض " ربنا الله - يا ربنا يعني، الله الذي في السماء ،قلنا في السماء أي: فوق السماء، أو في العلو، " أمرك في السماء والأرض " ،أي: أنه يأمر وينفذ أمره في السماء والأرض كما؛ أنه إله في السماء والأرض معبود في السماء والأرض " كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض "

المقصود: أنزل علينا من رحمتك في الأرض .

اغفر لنا حوبنا وخطايانا ذنوبنا أنت رب الطيبين " هو طيب لا يقبل إلا طيباً منزه عن النقائص ،الطيب بمعنى القدوس الطاهر تبارك وتعالى ، " أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ "

وقوله " أَلَا تَأْمُنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مِّنَ فِي السَّمَاءِ "

كل هذا إشارة إلى علوه ، علو ذاته، وعلو شأنه، وعلو قهره ، علو ذاته فهو فوق العرش كما يليق بجلاله وكماله

-{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى، ١١]

وعلو شأنه، قال تعالى: { وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [الروم: 12]

له ذروة الكمال، والجمال، والجلال، وعلو قهره، سيطرته، -قال تعالى: { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ } [الأنعام: ١٨]

وقوله والعرش فوق ذلك ، والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه ، قال تعالى: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ } [المؤمنون: ١٧]

-وقوله للجارية : أَيْنَ اللَّهُ ؟

قالت : في السماء .

قال : مَنْ أَنَا ؟

قالت : أنت رسول الله ، قال : أعتقها فإنها مؤمنة "

ولذلك كان هذا واضحاً، ولا يحتاج إلى تفصيل، ولا تأويل كما يفعل أهل الكلام، وأهل الأهواء.

-وقوله: { إِذَا كَانَ أْحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلَا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى. }

وهو فوق العرش كما يليق بجلاله وكماله عز وجل { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى: ١١]

-وقوله صلي الله عليه وسلم { اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ }

الربوبية بمعنى؛ السيد الأمر الناهي المشرع الذي يربي عباده بنعمه، وكذلك معاني الخلق، والتدبير، والإحياء والإماتة، والضر والنفع، والعتاء والمنع، والخفض والرفع، والإعزاز والإذلال، والإحياء والإماتة .

قال { قَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى } الذي يفلقها؛ فيخرج منها النبات.

- { مُنْزَلَ النَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ } فهو فوق العرش، وهذا ينزل إلينا منه؛ فإذا ينزل منع العو تكلم به حقيقة، وسمعه منه جبريل، وأداه كما سمعه إلى الأنبياء موسى وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

- قوله { أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ }

- قوله تعالى : { مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [هود، ٥٦]

- قوله صلي الله عليه وسلم { أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ أَقْضَى عَنَّا الدِّينَ وَأَغْنَانَا مِنَ الْفَقْرِ " }

الظاهر فليس فوقك شيء أيضاً من معاني بسم الله العلي والأعلى، والباطن فليس دونك شيء معاني اسمه الرقيب والشهيد، والحفيظ، والعليم، والخبير، والسميع، والبصير والقريب .

- وقوله لما رفع أصحابه أصواته بالذكر { أَيُّهَا النَّاسُ ارْجِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا }

إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته، وأقرب إليك من حبل الوريد، وهو فوق العرش، فوق العرش هو أقرب إليك بإحاطته وسمعه، وبصره، وعلمه وخبرته، وسيطرته، وإحاطته.

قال : وقوله " إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ " انتقل إلى مسألة رؤية الرب تبارك وتعالى؛ وأنه لا ينبغي أن تؤول، وأن تنكر بصيغته، أن هذا يؤدي إلى التحيز، أو الانحسار، أو تحيز الرب في جهة وغير ذلك؛ بل يروونه كما يليق بجلاله وكماله هم يروونه ولا يدركونه، قال تعالى : { لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } [الأنعام: ١٠٣]

الإدراك هو الإحاطة، ولا يحيط المخلوق بالخالق؛ لكنهم يروونه رؤية واضحة رؤية نعيم في الجنة، وكما كذلك أن الكافر، والمنافق يرون ربهم في عرصات القيامة رؤية العبد الأبق لسيدته ثم يحجب عنهم، قال تعالى : { كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ } [المطففين: 15]

هم الذين يحجبون عنه.

- قال صلي الله عليه وسلم { إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ " لاتنتراحمون في رؤيته " فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تَغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا }

إذن من أسباب رؤية وجه الله- عز وجل- في يوم المزيد المحافظة على صلاة الفجر والعصر.

قال : إلى أمثال هذه الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عن ربه بما يخبر به؛ فإن الفرقة الناجية (أهل السنة والجماعة) يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل، فالتحريف ذكرنا؛ هو التغيير، والتبديل وهو نوعان :

نوع لفظي محفوظ منه القرآن، ومعنوي وهو ما نعني به التأويل المذموم من صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى محتمل مرجوح بغير دليل، ولا تعطيل، والتعطيل هو النفي، وذكرنا هناك نفي الذات، والأسماء والصفات، ثم نفي الأسماء والصفات، ثم نفي الصفات، ثم تأويل الصفات دركات.

ومن غير تكيف، ولا تمثيل، تخيل كيفية معينة ليس لها مثال؛ هذا هو التكيف، وتخييل كيفية معينة لها مثال في الواقع هذا هو التمثيل، أو شبهه في الواقع هذا هو التشبيه؛ ولذلك علاقة التكيف بالتمثيل التكيف أعم من التمثيل؛ بل هم الوسط في فرق الأمة كما أن الأمة هي الوسط في الأمم، أمة الإسلام هي الوسط بين الأمم، وكذلك فأهل السنة الجماعة هو الوسط بين الفرق .

-قال النبي صلى الله عليه وسلم { وستفترق هذه الأمة على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً كُلها في النار إلا واحدةً، قيل : من هي يا رسول الله؟

-فقال صلى الله عليه وسلم : مَنْ كان على مثلِ ما أنا عليه وأصحابي " وفي رواية " هم الجماعة "

أيما كانت عليه الجماعة الأولى أي: النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في باب العقائد، في باب العبادات ، المعاملات، الأخلاق، السلوك، ومصادر الاستدلال، والتلقي السياسية الشرعية، وموازن المصالح والمفاسد ، والقدرة، والعجز، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة دولة الإسلام؛ أن تقيم الدين وتسوس الدنيا به .

-قال: صلى الله عليه وسلم { إنَّه من يعش منكم بعدي فسيرى اختِلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة }

-قال صلى الله عليه وسلم { تركتُ فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب اللّهُ وسنتي }

قال: فهم وسط في باب صفات الله تعالى بين أهل التعطيل، الجهمية، وبين أهل التمثيل المشبهة، كالكرامية والماتريديّة

أهل البدع دائماً الأطراف، وكلا طرفي الأمور ذميم؛ لكن الوسط هم أهل الحق؛ ولذلك ستجد أن أهل البدع يأخذون بأطراف الأمور، ويفرقون بين الأدلة، ويفارقون الأدلة ، ويجتزئون الأدلة؛ فيأخذون أهل التعطيل الآيات التي تدل على التنزيه وبما؛ أنه منزه إذن نحن ننفي المعاني بهذه الأسماء، والصفات حتى لا نقع في التشبيه حتى ننزهه حتى لا نقع في التشبيه، وننزهه إذن ننفي

المعاني -خاصة الأسماء والصفات - والمشبهة لكي تثبت المعاني؛ فيأخذون آيات إثبات المعاني
السمع والبصر وغير ذلك، ويتغاضون عن الآيات، أو أجزاء الآيات التي تدل على التنزيه؛
فيقولون لكي نتصور له معنى لا بد أن نشبهه بخلقه !

وكلاهما مبطل وكلاهما أهل بدعة، ونحن نثبت مع التنزيه، نثبت المعاني اللائقة بجلاله، وجماله،
وكماله ونزّهه عن كل نقص وعيب .

قال : وهم وسط في باب أفعال الله ما بين القدرية والجبرية؛ فالقدرية يغالون في إثبات مشيئة
العباد، وأفعال العباد حتى نفوا مرتبة المشيئة النافذة، والقدرة الشاملة وخلق الله أفعال العباد،
وغلاتهم من نفوا علم الله السابق وكتابته مقادير الخلائق حتى جعلوا الإنسان يخلق فعله، وجعلوا
هنالك خالقين في هذا العالم خالقاً للخير، وخالقاً للشر حتى ينزهوا الله عن خلق الشر، وإيجاد
الشر؛ فجعلوا الإنسان خالقاً للشر هم مجوس هذه الأمة؛ لأنهم أثبتوا خالقين خالقاً للخير، وخالقاً
للشر كالمجوس في عبادة النور والظلمات، إله النور، وإله الظلام، إله الخير، وإله الشر؛
فالقدرية مجوس هذه الأمة، منهم القدرية الذين ينفون المرتبتين الأخرين، ومنهم الذين ينفون علم
الله؛ فهؤلاء كفار نوعاً وعيناً كعبد الجهني الذي كان يقول: لا قدر؛ وأن الأمر أنف الأمر
مستأنف، وأن الله لا يعلم حتى إذا عمل العباد؛ فإنه يعلم !

وكل هذا كفر، إنكار علم الله كفر نقول: هم وسط في أفعال الله تبارك وتعالى، هم وسط بين
القدرية والجبرية؛ فالقدرية كما ذكرنا يُغالون في إثبات أفعال العباد، ومشيئة العباد حتى جعلوا
العبد يخلق فعله، والجبرية يغالون في إثبات القدر حتى جعل العبد لا يفعل شيئاً؛ وإنما هو كالورقة
في مهب الريح، وهذا أدى بهم إلي إتهام الرب بالظلم، ألقاه مكتوف اليدين في الماء، وقال له إياك
أن تبتل وكأنه مجبور!

وكلاهما قدرية؛ يعني هؤلاء القدرية النفاة الذين ينفون القدر، وهؤلاء الجبرية قدرية أيضاً غلاة
في إثبات القدر، وأهل السنة وسط يثبتون علم الله السابق، وكتابته المقادير، ومشيئته النافذة
وقدرته الشاملة.

خلق الله- تبارك وتعالى- أفعال العباد أربع مراتب هم وسط في ذلك بين القدرية والجبرية، وفي
باب وعيد الله بين المرجئة، وبين الوعيدية من القدرية وغيرهم.

المرجئة؛ الذين أرجأوا العمل عن مسمى الإيمان، أخرجوا العمل من مسمى الإيمان، والوعد وهم
أخذوا بآيات الوعد وأحاديث الوعد، وتغاضوا عن أحاديث، وآيات الوعيد.

والوعيدية؛ الذين هم الخوارج غالوا جداً في قضية الوعيد؛ ولذلك كفروا بالكبيرة؛ فجعلوا
العمل من كينونة وماهية الإيمان عمل الجوارح أقصد، وليس فقط الأركان الأربعة؛ بل جعلوا
أي: ترك أي عمل من أعمال الجوارح يكون كفراً؛ فهذا تكفير بالكبيرة، وكلاهما مُغال في هذا.

وفي باب وعيد الله بين المرجئة، وبين الوعيدية من القدرية، الخوارج المعتزلة بالحقيقة هم أهل تعطيل في الصفات، وهم وعيدية في باب الإيمان، والكفر، خوارج في الإيمان والكفر، وهم في القدرية يقولون: أن العبد يخلق فعله.

إذن المرجئة، والقدرية في باب الوعيد، أهل السنة والجماعة يقولون: الإيمان قول وعمل كما سيأتي بالتفصيل بإذن الله تبارك وتعالى.

الإيمان قول وعمل، القول قولان، والعمل عملان، قول القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل اللسان والجوارح.

العمل من الإيمان، وليس ركناً فيه كل هذا سيأتي بإذن الله في تفصيل عقيدة أهل السنة والجماعة؛ لكنهم وسط

يقولون: العمل عمل الجوارح من الإيمان، وليس ركناً فيه، أما عمل القلب أصل عمل القلب؛ فهو أصل في الإيمان إذا زال يزول الإيمان، وعمل الجوارح من الإيمان، وليس ركناً فيه؛ إلا ما كان من خلاف سائغ بين أهل العلم؛ الأركان الأربعة [الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج]

والراجع؛ أن تركها تكاسلاً كفر دون كفر، أكبر الكبائر بخلاف تركها جحوداً؛ فهو كفر أكبر مخرج من الملة بالإجماع؛ لأنه ينافي أصل عمل القلب في القبول والإستسلام، والإنقياد .

إذن هم وسط في صفات الله بين أهل التعطيل، وبين أهل التمثيل يبقى لا يعطلون ولا يمثلون؛ بل يثبتون مع التنزيه.

- **في باب أفعال الله بين القدرية والجبرية فهم يثبتون القدر** ويثبتون مشيئة العباد؛ وأن أفعال العباد مخلوقة لله- تبارك وتعالى- وأن الله خلق للعباد قدرة ومشيئة بها تقع أفعالهم حتى تقوم الحجة عليهم.

- **وفي باب وعيد الله بين المرجئة وبين الوعيدية من القدرية ذكرنا للإيمان قول وعمل.**

المرجئة أخرجوا العمل، والقدرية الوعيدية غالوا في إثبات العمل، المرجئة أخرجوا في الحقيقة عمل القلب، وعمل الجوارح من الإيمان، والوعيدية غالوا في إثبات قضية العمل؛ فأهل السنة يقولون قول وعمل.

قال: وفي باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية، نفس الكلام باب الإيمان هو أيضاً باب وعيد الله؛ يعني هو نفس الكلام، الأمر مرتبط عشان كده بنقول: مسائل الإيمان والكفر، والوعد والوعيد الحرورية أيضاً هم الخوارج، وقد ذكرنا أن المعتزلة خوارج، وبين المرجئة، والجهمية؛ فالجهمية مرجئة، وكذلك الأشاعرة مرجئة؛ فالأشاعرة مخانيث الجهمية، وفي أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بين الروافض وبين الخوارج، الروافض الذين يغالون في آل البيت، ويرفضون الصحابة، يرفضون أبا بكر، وعمر- رضي الله

عنهما- أولاً ثم يكفرون ببقية الصحابة؛ إلا ستة أو أربعة ويغالون في آل البيت في الائمة الإثنى عشر، وبين الروافض والخوارج كذلك كفروا أهل الاسلام، وكفروا علي رضي الله عنه.

نقول: وبين المفترض هنا يقول بين الروافض، وبين النواصب الذين ناصبوا آل بيت رسول الله العدا، وغالوا في الصحابة.

قال: وقد دخل فيما ذكرناه من الايمان بالله بما أخبر الله به في كتابه وتواطأ عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأجمع عليه سلف الأمة من أنه- سبحانه وتعالى- فوق سماواته، وقد ذكرنا ذلك على عرشه، عليّ علي خلقه، كتاب "العلو" للإمام الذهبي، واختصره الشيخ الألباني من كتب المهمة في هذا الشأن، وهو سبحانه معهم أينما كانوا.

✓ ذكرنا المعية العامة والمعية الخاصة.

-كما جمع بين ذلك في قوله { هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۗ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [الحديد: 4]

وليس معنى قوله، "وهو معكم" أنه مختلط بالخلق !

ننفي عنه شبهة الحلول، والإتحاد، أو وحدة الوجود؛ فإن هذا لا توجهه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق؛ بل القمر أية من آيات الله من أصغر مخلوقاته، ثم هو موضوع في السماء، وهو مع المسافر أينما كان، وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه، مهيمن عليهم، مطلع إليهم إلى غير ذلك من معاني الربوبية.

إذن المعية تعني مثلاً؛ فأنت تقول أنا معك في هذا الأمر، ولا تقصد أنك أنت دخلت جواه؛ بل أنا معك إني أوافقك، وإني معك وإني أؤيدك، وهذا في مخلوق لمخلوق؛ فكذلك والله المثل الأعلى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم.

قال: إلى غير ذلك معاني الربوبية، وكل هذا الكلام الذي ذكره؛ أنه فوق العرش؛ وأنه معنا فوق العرش وهو معنا؛ المعية العامة بالإطلاع، والإحاطة والسمع، والبصر والخبرة، والعلم.

ومعية خاصة بالتأييد، والتوفيق، والإلهام إلى غير ذلك.

قال؛ حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف؛ ولكن يصاب عن الظنون الكاذبة، ودخل في ذلك الإمام بأنه قريب من خلقه كما قال سبحانه وتعالى { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ... } [سورة البقرة: 186]

-وقال النبي- الله عليه وسلم- { فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ }

وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته؛ فإنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير في جميع نعوته، وهو عليّ في دنوه قريب في علوه .

عليّ؛ وهو علي علو الذات، والشأن، والقهر في دنوه في قربيه، وإحاطته وعلمه، قريب عز وجل في علوه؛ فهو عليم، قريب، مجيب، سميع، رقيب، شهيد، مطلع محصي حفيظ في علوه فوق السماوات السبع وفوق العرش.

ومن الإيمان به، وبكتبه الإيمان؛ بأن القرآن كلام الله سبحانه وتعالى منزل يدل على العلو أيضاً غير مخلوق، يلزمنا أن نقول ذلك لظهور أهل البدع من المعتزلة، ومن الأشاعرة أيضاً الذين يقولون؛ أنه كلام نفسي، وهو عبر عنه رسول الله، أو حكاه رسول الله فهو إما حكاية، أو عبارة عن كلام الله تبارك وتعالى وليس هو كلام الله !!

فهذا مآل كلام الأشاعرة إلى؛ أنه مخلوق ونحن نقول: القرآن كلام الله غير مخلوق.

-قيل: للإمام أحمد هل سكت؟! -

قال: إلا سكتوا حتى أسكت منه بدأ وإليه يعود .

تكلم الله به حقيقة، وسمعه منه جبريل، وأداه كما سمعه إلي محمد، ونزل جملة بليغة القدر إلى السماء الدنيا، ثم بعد ذلك نزل مفصلاً، أو مفرقاً على ثلاثة وعشرين عاماً إليه يعود في آخر الزمان، يرفع من المصاحف، ويكون هذا أذان بخراب العالم، وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد- صلى الله عليه وسلم- هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره.

فكما أن الذات غير مخلوقة؛ فكذلك الصفات غير مخلوقة؛ وهو صفة من صفات الله كما ذكرنا.

والكلام صفة فعلية متعلقة بالقدرة، والمشية قديمة النوع حديثة الأفراد؛ **ولذلك قال: ابن عباس "هذا القرآن أحدث الكتب عهداً بربكم"** أي: أن الله تكلم بما شاء في الوقت الذي يشاء بعد أن تكلم بالتوراة، والإنجيل؛ فهو أحدث الكتب؛ بمعنى أنه أجدد الكتب.

كان قبله كتب؛ **ولذلك قال تعالى: { مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ }**
[الأنبياء: 2]

مُحَدَّثٍ: الإحداث هنا، أو الحدث هنا بمعنى؛ أنه تكلم به- عز وجل- بعد أن تكلم بغيره من الكتب، وليس هذا بمعنى محدث في عرف الفلاسفة هم عندهم القديم والمحدث.

القديم أي: الخالق الموجد واجب الوجود.

والمحدث؛ هو المخلوق، والأمر ليس كذلك هذه المصطلحات الفلسفية لا تلزم إلا أهلها، أما نحن؛ فنلتزم بما ورد في الكتاب والسنة؛ أن الحدث هنا؛ أنها أجدد من بعضها، أو أحدث عهداً بالله تبارك وتعالى؛ ولذلك نقول: أن صفات الأفعال قديمة النوع حادثة الأفراد.

يقول: ولا يجوز اطلاق القول؛ بأنه حكاية عن كلام الله وعبارة عنه كما يقول المتكلمون عن أن يكون كلام الله حقيقة.

مثال ذلك: أنا قلت كلام اليوم، حضرتك خدته فرغته في ورق، وبعد كده نقلته للناس، وقرأته على الناس؛ كل هذا الكلام ينسب إلى قائله؛ فالكلام كلام الله تكلم الله به، أنت كتبتة، انت قرأته بحجرتك، سمعته، وبلغته؛ كل هذا لا ينفي أنه كلام الله .

طب الحنجرة، وصوتك، وكتابتك، والورق، والحبر!

كل هذا مخلوق؛ لكن كلام الله غير مخلوق؛ لأن الكلام ينسب لقائله وصفة لقائله؛ فيما أن القائل هو غير مخلوق- تبارك وتعالى- والخالق وكذلك كلامه غير مخلوق؛ فإن الكلام؛ إنما يضاف حقيقة إلى من تكلم به مبتدأ لا إلى من قاله مبلغاً ومؤدياً.

وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه من الإيمان بكتبه، ورسله الإيمان؛ بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عياناً بأبصارهم كما يرون الشمس صحوا ليس دونها سحب، وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته، يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة، ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله سبحانه وتعالى.

✓ وقد ذكرنا الراجح في ذلك أن رؤية المؤمنين له في الجنة رؤية نعيم، أما رؤية أهل الموقف؛ فهنالك المنافق والكافر يرونه ينظر إليه نظرة غضب ثم يحجبون عنه بعد ذلك، والمؤمن يراه في أول العرصات، ثم بعد ذلك يأتيهم في صورة غير التي يعرفون؛ فيقول: أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك؛ بل بيننا وبين ربنا علامة؛ فيكشف عن ساقه فما بقي من كان يسجد لله تبارك وتعالى إلا سجد، وما بقي من كان يسجد نفاقاً؛ إلا وقع على قفاه خر إلى قفاه، ويكون ظهره كظهر البقر.

بهذا نكون أنهينا في هذا الكتاب قضية الإيمان بالل- تبارك وتعالى- والإيمان بالأسماء والصفات وما تفرع عنها من قواعد.

إن شاء الله- تبارك وتعالى- سننزل اختباراً على هذا الجزء بإذن الأسبوع القادم؛ فالأخوة والأخوات تستعد؛ لأن بهذا تكون انتصفت الدورة، و بقي لنا أربعة مجالس، وننهي الدورة بإذن الله- تبارك وتعالى- فالإختبار سيكون على ما فات الأسبوع القادم بإذن الله؛ فالكل يقرأ ويذاكر ويستعد هذا له درجات غير درجات الغياب بإذن الله تبارك وتعالى.

أقول قولي هذا، واستغفر الله العظيم لي ولكم، سبحانه اللهم ربنا وبحمدك أشهد أنه لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك .